

خطبة جمعة

غيبه العلماء

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٣)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الخطبة الأولى]

الحمد لله جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يهدون من ضلّ إلى الهدى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون الناس من العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحياه العلماء، وكم من ضالّ تائه قد هداه العلماء، فما أحسن أثر العلماء على الناس، وما أقبح أثر الناس على العلماء، ينفون عن دين الله تحريف الجاهلين، وتأويل المبطلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، واختلفوا في الكتاب وخالفوا الكتاب، وشاقوا الكتاب والسنة.

فهدى الله الناس بالعلماء؛ لأنّ العلماء ورثة الأنبياء.

الحمد لله، الذي له الحمد كله، والذي جعل علماء هذه الأمة خير الناس، كما أنّه جعل صحابة رسول الله ﷺ خير هذه الأمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه خليله، نشهد أنه لا خير إلا دلّ الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، فصلّى الله على نبينا محمد كفاء ما أرشد، وكفاء ما بين، وكفاء ما علّم، وكفاء ما دلّ إلى الطريق المستقيم، وكفاء ما بين من طرق الضلالة والغواية، وصلى الله على آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله يحاسب المرء منّا في ذلك اليوم العظيم على لسانه وعلى جوارحه وعلى فرجه وعلى قلبه، يحاسب على كل ما عمل، وعلى كل ما نطق به، وعلى كل ما عقد قلبه، وكل شيء في ذلك اليوم سيُعرض عليك من عمل، إن كان خيراً وإن كان شراً، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

أيها المؤمن، إن الله جل جلاله عظم في كتابه شأن العلماء، شأن علماء الدين؛ لأنهم الذين حملوا في صدورهم كتاب الله - جل وعلا - وسنة رسوله ﷺ، ثم بينوا ذلك للناس فرفع الله المؤمنين بالله ورسوله رفعهم درجات، وجعل أرفع المؤمنين درجات أهل العلم ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فأهل العلم هم أرفع هذه الأمة درجات، فصحابة رسول الله ﷺ أيضاً هم درجات، وأرفعهم علماءهم، والعشرة المبشرون بالجنة هم أرفع أولئك.

وصحابة رسول الله ﷺ جعلهم الله خير هذه الأمة؛ لأنه رضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، ومع ذلك مع ثناء الله - جل وعلا - على صحابة رسوله الكريم ﷺ وقوله في شأنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، ومع ما أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومع ما أثنى الله عليهم في آيات كثيرة، فقد ظهر أناس في زمن الصحابة يضللون الصحابة، ويرون أن ما هم عليه ليس بحق؛ بل كفّروا بعضاً منهم؛ لأنهم رأوا أنهم لم يحملوا دين الله وأنهم فرطوا في الدين وأنهم رضوا بالدنيا عن الآخرة، وأنهم حكّموا الرجال في دين الله،

ورضوا بغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فضللّت الأمة من وقع في الصحابة، ثم أجمع المسلمون من أهل السنة والجماعة على أنّ من ذكر الصحابة أو ذكر علماء هذه الأمة بغير خير فإنه على غير السبيل؛ يعني على غير سبيل أهل السنة والجماعة؛ لأنّ علماء هذه الأمة هم الذين ورثوا محمداً ﷺ، ورثوا أقواله وورثوا القرآن، وورثوا السنة، وورثوا أفعال النبي عليه الصلاة والسلام، ونقلوها إلى الناس، فمن طعن في الصحابة فإنه يطعن في الدين؛ لأنّ الصحابة هم الذين نقلوا الشريعة، وهم الذين بلغوها إلى الناس، فإذا طعن فيهم رجع النقل إلى من طعن الشرع، وهذه من أكبر وسائل الملحدين في الطعن في الإسلام أنهم يقولون: إن الصحابة مطعون فيهم، وكيف يُرضى في نقل الشريعة بنقل من طعن فيه، ومن قتل وعمل، ومن ارتكب بعض المعاصي، ومن قاتل لأجل الدنيا.. ونحو ذلك من الأمور التي أجمع العلماء، وأجمعت الأمة على تضليل من قال بذلك.

كذلك لما توالى الزمان طعن أناس كثيرون في أئمة أهل السنة وفي أئمة أهل الحديث، طعنوا فيهم، تارة بعدم معرفتهم بالدنيا، وتارة بأنهم يدخلون على الولاة، وتارة بأنهم لا يفقهون إلا النصوص ولا يعلمون العقليات، وتارة.. وتارة.. والغرض من ذلك كله أن يطعنوا في العلماء، وإذا طعن في أهل العلم طعن في الشريعة؛ لأنّ الشريعة إنما يبينها أهل العلم، يبينون كتاب الله ومعانيه، ويبينون السنة ومعانيها، فمن طعن في أهل العلم رجع طعنه -إن كان مريداً أو غير قاصد- رجع الطعن إلى الشريعة؛ لأنّ الشريعة إنما يبلغها هؤلاء العلماء الذين ورثوا محمداً ﷺ بشهادته عليه الصلاة والسلام، حين قال: «إنّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(١) العلماء ورثة الأنبياء، فالطعن فيهم حقيقته أنه راجع إلى الطعن في الشريعة.

وإنّ الطعن في العلماء وتشويه سمعة العلماء -بحق أو بغير حق- عند العامة إنّ ذلك يورث الشك فيهم، وإذا أورث الشك في أهل العلم رجع ذلك إلى عدم الثقة بأقوالهم، وعدم الثقة بالعقيدة التي ينشرونها، وعدم الثقة ببيانهم للكتاب وبيانهم للسنة، وعدم الثقة ببيانهم للفتاوى المعاصرة، وللنوازل الحاضرة التي تجدّ في أحوال المؤمنين، وما يجد في أحوالهم أفراداً وجماعات، وإذا نُزعت الثقة تسلّط الجهال، فأفتوا بغير علم فضلو وأضلو.

أيها المؤمنون، إنّ الله -جل جلاله- لما رفع منزلة العلماء جعل غيبة كل المسلمين كبيرة من كبائر الذنوب فإن الله -جل جلاله- قال: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، فجعل الغيبة من جنس أكل الميتة، وأكل الميتة كبيرة من الكبائر، فهكذا الغيبة كبيرة من الكبائر، وتعظم الغيبة إذا كان المغتاب صحابة رسول الله ﷺ، أو إذا كان المغتاب العلماء الذين يعلمون الكتاب والسنة ويصّرون أهل العمى، وينصرون السنة بالاعتقاد والعمل، تعظم الغيبة وتكبر الكبيرة، وإذا كانت الغيبة تلك الكبيرة.

فمن ذكر العالم بغير ما يرضى فإنه قد اغتابه، وإذا اغتابه فإنه قد ارتكب تلك الكبيرة والنبي ﷺ نهى عن الغيبة، نهى عن الغيبة ثم سئل عنها: ما الغيبة؟ فقال: «ذكرك أخاك بما يكره» قال: رأيت إن كان في

(١) «سنن الترمذي»، حديث رقم (٢٦٨٢). «سنن ابن ماجه»، حديث رقم (٢٢٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»^(١)، والبهتان أعظم من الغيبة، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إن الغيبة إذا كانت كبيرة من كبائر الذنوب فمن مارسها بين الصلوات، فإن الصلاة إلى الصلاة ليست مكفرة لما بينهما؛ لأن من شرط تكفير الذنوب أن تُجتنب الكبائر، فمن أصرَّ على هذه الكبيرة ولم يستغفر ولم يتب ولم يُنبِ إلى ربه، فإن صغيرته لا تكفرها الصلاة ولا يكفرها الصيام ولا تكفرها الجمعة ولا تكفرها العمرة ولا يكفرها الحج، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، فشرط تعالى لتكفير السيئات أن تُجتنب الكبائر، وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: «الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهما ما اجتنبت الكبائر»، وفي لفظ: «ما لم تغش كبيرة»، وكذلك قال: «رمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة، والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر»^(٢).

فهذا الذي وقع في الغيبة بذكره أخاه بما يكره، إن كان في أخيه ما يقول، وإن كان في أهل العلم ما يقول، فقد ارتكبت تلك الكبيرة، وإن كان ما يذكر كذبا وبهتاناً، إن كان ما يذكر زورا وإفكا، فإن مصيئته وكبيرته أعظم، وصلاته إلى صلته ليست مكفرة لما يرتكبه من الذنوب؛ بل تجتمع عليه الذنوب إن لم يشأ الله أن يغفر له في الآخرة، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي يصف فيه الذنوب ويصف فيه صغارها بله الكبار يقول: «كمثل قوم تفرقوا في واد فأتى هذا بعود صغير وأتى ذاك بعود وأتى الثالث بعود فجمعوه تحت قدرهم فأنضجوا قديرهم» يعني ما بداخل القدر «وهكذا الذنوب تهلك صاحبها»^(٣).

أيها المؤمن، إن الله رحمك بأن جعل صلاتك إلى صلاتك مكفرة لما بينهما فإنك إذا ارتكبت تلك الكبيرة من الغيبة والبهتان، أو من الكذب على أهل العلم، فإنك على خطر عظيم فالنجاة النجاة، النجاة، وإيانا وسبيل المبطلين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون ويرتكبون النهي مع علمهم بذلك، ويطعنون في أهل العلم، ويعلمون أنهم هم خيرة أهل الأرض بما يحملون في صدورهم من القرآن من كلام الله، ومن كلام المصطفى ﷺ، إذا تحدثوا تردد في أنفاسهم كلام الملك العلي العظيم، وإذا تحدثوا تردد مع أنفاسهم كلام المصطفى ﷺ كأنه حي حاضر يحدثنا، يفقهوننا، ويعلمون الجاهل، ويفتون، ويعلم الناس أثرهم إذا قام الأشهاد يوم القيامة من أخذ من عالم كلمة فاهتدى بها فنفعته في دينه فإنه سيعلم عظم أثرها يوم القيامة.

فكيف يكذب المبطلون على أهل العلم، وكيف يبهت المبطلون أهل العلم، وكيف يغتاب الناس أهل العلم، وهم خيرة الله في أرضه ومن ذكرهم بغير خير فهو على غير السبيل.

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٥٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٣٣).

(٣) «مسند أحمد» (تحقيق أحمد شاكر وحزمة الزين)، حديث رقم (٢٢٧٠٧)، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٨٩).

إن الكذب على أهل العلم كبيرة من الكبائر، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من حَدَّثَ بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» وفي ضبط «فهو أحد الكاذبين»، ^(١) وقد قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، فالكذب في هذا الزمان راج، ونتج عن الكذب الغيبة والبهتان، ونتج عن ذلك أمور كثيرة فشت في الناس.

أيها المؤمن، إن إيمانك يعصمك من ارتكاب الزنا، إن إيمانك يعصمك بإذن الله وتوفيقه من ارتكاب شرب الخمر، ومن أكل الربا، ومن السرقة، ومن الموبقات ومن الشرك بالله، ومن السحر ومن التولي يوم الزحف، ومن قذف المحصنات الغافلات، وهذه يجتمع المؤمنون على إنكارها وعلى بغضها؛ ولكن هل عصمك إيمانك من الغيبة؟ هل عصمك إيمانك من الكذب؟ هل عصمك من البهتان؟

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: إنه يكثر في الصالحين أن يجتنبوا الزنا وشرب الخمر، ولكنهم يقعون في كبائر الذنوب باللسان من الغيبة ونحوها. ومن كبائر الذنوب في القلب من العجب والكبر ونحو ذلك.

وهذا الذي قاله صحيح لأن الكبائر متنوعة، والله -جل جلاله- جعل من اللسان كبيرة، وقد سأل معاذ رسول الله ﷺ حين قال له: «كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، قال معاذ: يا رسول الله؛ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: «ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ -أَوْ قَالَ: عَلَى وُجُوهِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» ^(٢)، فماذا يقول أولئك الذين اجتمعوا في المجالس فأخذوا يغتابون هذا العالم، ويغتابون ذاك، ويقذفون القاضي هذا ويقذفون القاضي ذاك، ولا يرعوا للشرع حرمة، ولا يرعوا لما في صدور العلماء من كلام الله وسنة رسوله ﷺ حرمة، ولا يرعوا للعقيدة الصحيحة التي يبلغها أهل العلم وينشرونها حرمة، ويرتكبون هذه الكبيرة بذكرهم العلماء بما يكرهون، ومع ذلك يأنسون، وكأنهم على طاعة وكأنهم في طواف أو في تلاوة قرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللَّهُمَّ نسألك سؤال ملحٍّ يرجو الإجابة، أن تجعل ألسنتنا عفيفة، اللَّهُمَّ اجعل ألسنتنا عفيفة، وقلوبنا محبة للمؤمنين، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا اجعلنا ممن يتكلم بالخير. اللَّهُمَّ اجعلنا ممن ينطق إذا نطق بالخير، ونعوذ بك من لسانك يؤول بنا إلى النار، نعوذ بك اللَّهُمَّ من لسان يؤول بنا إلى النار.

واسمعوا لقول الله -جل وعلا- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه من قلوبكم حقاً، وتوبوا إليه صدقاً، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) مسلم: مقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين.

(٢) «سنن الترمذي»، حديث رقم (٢٦١٦). «سنن ابن ماجه»، حديث رقم (٣٩٧٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق الحمد وأثناء وأجله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد. اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوى الله فإن بالتقوى الفخار والرفعة؛ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]؛ يعني قد حققتم إسلامكم ظاهراً وباطناً.

هذا واعلموا رحماني الله وإياكم أن الله جل جلاله أمركم بالصلاة على نبيه فقال قولاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعننا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واهزم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللهم انصر المؤمنين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم أيدهم بتأييدك وانصرهم بنصرك وقوهم بقوتك وأعزهم فأنت القوي العزيز.

اللهم ارفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وادفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هذه بخاصة، وعن سائر بلاد المؤمنين بعامه، يا أكرم الأكرمين.

اللهم نسألك سؤال ملح يريد الإجابة ويطمع فيها ويخاف ذنوبه، نسألك أن تغفر لنا أجمعين، اللهم اغفر لنا أجمعين.

اللهم لا تمتنا إلا وقد وفقنا لتوبة نصوح بها ترضى عنا، وأنت أرحم الراحمين وأجود الأجودين. عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

